القـول المبـين
فى الرد على
« تسليمة نسرين »

بقلم الاستاذ الدكتور
شحات حسيب الفيومى
استاذ التفسير وعلوم القرآن بالكلية

القول المبين
في
الرد علي " تسليمة نسرين "

بقلم
إستاذ دكتور
شحات حسيب الفيومى

بين الفنية والفنية يظهر في أصقاع[١] بلاد الاسلام المترامية وفي غيرها من البسيطة أناس يدعون أنهم من أرباب الفكر وأولي النهي . ومن سدنة العلم . وحقيقتهم أنهم اعتلفوا قشور بعض المعارف ولاكوا لحاءها ، فهم فقراء من الازودة التي تؤهلهم الي الغوص في أغوار العلوم والمعارف . ولا يحترفون أسرارها وهذا الصنف من المتطفلين علي جداول العلماء وأنهارهم يدعي ان له دلوا يدلي به بين الجهابذة فيفضحه دلوه لانه كشف عن ضحالة تفكيره وضيق أفقه وسفاسف معلوماته انهم يريدون أن يذكرهم التاريخ وتبرز أسماؤهم وقد يكون شيطاناً سول لهم واملي لهم . ومن هؤلاء " تسليمة نسرين " وهي من دولة تدين بالاسلام وتتخذه شعارا لها هذه الدولة هي " بنجلاديش "

قالت تسليمة : إن القرآن يجب أن تغير فيه بعض المفاهيم المتعلقة بالمرأة والتى تتفق و العصر الحديث. فأقامت الدنيا بقيلها هذا ولم تقعدها كما أخبر بذلك المسئول عن برنامج الرأى الآخر فى إذاعة « لندن». وعلى أثر قول الجاهلة. انفجرت المظاهرات فى الشطر الثانى من « باكستان الكبرى »

شبهة دا حضه :-

قالت تسليمة كلامها . وهو كلام واه يردده بعض الجهلة من الكاتبين والكاتبات فى كل عصر كأنهم تواصوا به وهو كلام متهافت يدور بين حرية المرأة وبين حقوقها وكأن الإسلام وحده هو الذي حرمها حريتها وسلبها حقوقها وتركها جريحةً على مدى

١- أصقاع : جمع صقع بضم الصاد وهى الناحية.

العصور والسنين تلعق جراحها والآسفون عليها يريدون تضميد جراحها وتخفيف آلامها ويريدون أن يصنعوا لها الحرية والمساواة بينها وبين الرجل.

إن كلامهم هذا لايفتقر إلى حجج فى الرد عليه . فالاسلام يعرفه أهله ويعرف عظمته كثير من المفكرين فى مشارق الأرض ومغاربها يبد أنَّ هذا الرد للذين يعرفون موقف الإسلام من المرأة:

المراة قبل الإسلام «فى الجاهلية»

لم يكن للمرأة وجود معنوى قبل الاسلام فإذا وفدت على أهلها ساءتهم واسود وجه أبيها من خبر ولادتها قال تعالى (واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم. يتوارى من القوم من سوء مابشربه أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء مايحكمون) [١]

فالأب الذى بشر ببنت له تتأجج فى داخله انفعالات مختلفة انفعال الغيظ من سوء مابشر به وانفعال البعد عن الناس فهو يعتبرها فضيحة ينأى بسببها عن الناس. ثم يتولد فى داخله انفعالان متنازعان: انفعال بابقائها ويعيش فى هوان وذله. وانفعال يدفعه لو أدها فى التراب.

وهذه صورة لما وقع فى الجاهلية : ساق الحافظ ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى« وإذا الموءودة سئلت. بأى ذنب قتلت » [٢] رواية عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال « جاء قيس بن عاصم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال يارسول الله إنى وأدت بنات لى فى الجاهلية فقال: « أعتق عن كل واحدة منهن رقبة. قال يارسول الله إنى صاحب إبل ؟ قال فانحر عن كل واحدة منهن بدنه » فلقد كانت المرأة فى الجاهلية منذ نعومة أظفارها وليونة عودها بين نارين نار الذلة والمهانة ونار القتل حية.

١- سورة النحل آية ٥٨ . ٥٩ ٢- سورة التكوير آية ٨ . ٩

وهذه صورة تبين أنها فى أثناء نضج أنوثتها لم تكن أحسن من طفولتها بل هى أسيرة الظلم يقول الإمام الفخر الرازى (روى عن عروة أنه قال قلت لعائشة مامعنى قول الله تعالى « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى»

فقالت ياابن أختى: هى اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى مالها وجمالها إلا أنه يريد أن ينكحها بأدنى من صداقها ثم إذا تزوج بها عاملها معاملة رديئة لعلمه بأنه ليس لهامَنْ يذب عنها ويدفع شر ذلك الزوج عنها فقال تعالي وإن خفتم أن تظلموا اليتامى عند نكاحهن فانكحوا من غيرهن ماطاب لكم من النساء)[1] وتكملة لهذه الصورة الباهتة فى الجاهلية يقول ابن عباس فى قوله تعالى(« ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لاتؤتونهن ماكتب لهن وترغبون أن تنكحوهن» [2].

قال ابن عباس : فكان الرجل فى الجاهلية تكون عنده اليتيمة فيلقى عليها ثوبه فإذا فعل ذلك لم يقدر أحد أن يتزوجها أبداً فإن كانت جميلة وهويها تزوجها وأكل مالها وإن كانت دميمة منعها الرجال أبداً حتى تموت فإذا ماتت ورثها فحرم الله ذلك ونهى عنه) [3].

المراة في اليهودية

لم تكن المرأة فى اليهودية أحسن حالا من المرأة فى الجاهلية ففيها أن حواء هى السبب فى العصيان وأنها التى جرت آدم إلى الأكل من الشجرة المحرمة عليهما. ففى العهد العتيق فى سفر التكوين وفى الفصل الثالث (وكانت الحية أحيل جميع حيوان البرية الذى صنعه الرب الإله فقالت للمرأة أيقيناً قال الله لا تأكلا من جميع شجر

١- تفسير الفخر الرازى جـ ٣ ص ١٣٦.

٢- سورة النساء آية ١٢٧.

٣- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير جـ٢ ص ٣٧٧.

الجنة. فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل. وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله لاتأكلان منه ولاتمساه كيلا تموتا. فقالت الحية للمرأة لن تموتا إنما الله عالم أنكما فى يوم تأكلا منه تنفتح أعينكما وتصيران كآلهة عارفى الخير والشر ورأت المرأة أن الشجرة طيبة للمأكل وشهية للعيون وأن الشجرة منيَّة للعقل فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت بعلها أيضا معها فأكل).

وهذا النص الذى سيق فى العهد القديم قد ألقى بالتبعة كلها على حواء وحملها الإثم كله. فهو يبث روح الاشمئزاز من المرأة.

ومما يزيد من اشمئزاز اليهود لها مايرونه من فطرتها وطبيعتها الجسدية أيام طمثها فلا يؤاكلونها ولا يجامعونها فى البيوت روى الإمام أحمد بسنده عن أنس بن مالك (أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة منهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها فى البيوت فسأل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل « ويسألونك عن المحيض. قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولاتقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن» حتى فرغ من الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اصنعوا كل شيئ إلا النكاح فبلغ ذلك اليهود فقالوا مايريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه فجاء أسيد ابن حضير وعباد بن بشر فقالا يارسول الله إن اليهود قالت كذا وكذا أفلا نجامعهن؟ فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا أن قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلتهما هدية من لبن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل فى آثارهما فسقاهما فعرفا أن لم يجد عليهما) [1].

فلقد كان ينظر إلى المرأة على أنها مخلوق من الدرجة الثانية فالرجال هم الدرجة الأولى والنساء بعدهم ولقد ندر بروز بعض النساء كبلقيس وغيرها.

ولقد تصدى الإسلام لسلوك أهل الجاهلية واليهود فقال لأهل الجاهلية (لله

١- تفسير القرآن العظيم جـ١ ص ٣٧٧، ٣٧٨

ملك السموات والأرض يخلق مايشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاؤ الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير) [١].

لقد صدرت الآيات بمقدمة لايمترى فيها عاقل وهى مناسبة لما بعدها فالله هو الخالق لما يشاء وهذا توكيد للمقدمة. ثم يربط الله سبحانه وتعالى بين المقدمة ومؤكدها برزقه وهبته لخلقه ومن هذا الرزق الذرية فهى مظهر من مظاهر المنح والمنع والعطاء والحرمان . ولما كانت الذرية قريبة من نفس الإنسان وهى شديدة الحساسية بها فلمسها من هذا الجانب أقوى وأعمق من أى جانب . أنها رزق من الله ويختلف الرزق حسب مشئية صاحبه ومالكه . ثم يفصل الله حالات الرزق من اختلاف فيه وعطاء وحرمان فيقول .« يهب لمن يشاء إناثاً » وإن كانت بعض الأنفس يكرهون الإناث « ويهب لمن يشاء الذكور» ويهب لمن يشاء أزواجاً من هؤلاء وهؤلاء. ويحرم من يشاء فيجعله عقيماً . وليس لأحد دخل فى ذلك فهى تجرى على وفق عمله وإرادته وقدرته. وهذا هو منهج الإسلام فجعل الأنثى رزقاً يجب الشكر عليها والاهتمام بها. أما التبعة التى ألقتها التوراة المحرفة على حواء فالإسلام قد برأها منها ولم يلق بالتبعة عليها وحدها (وقلنا ياآدم اسكن وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطو بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين [٢].

بل أسندت الآيات القرآنية المعصية لآدم دون حواء (فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى) [٣].

١- سورة الشورى آية ٤٩ ، ٥٠.

٢- سورة البقرة آية ٣٥، ٣٦.

٣- سورة طه آية ١٢١.

فى الاسلام الاهتمام بالانثى طريق إلى الجنة وحصن من النار

لقد جعل الإسلام الاهتمام بالبنت طريقاً من طرق الوصول إلى رياض الجنة وجعله حصنا من عذاب جهنم يروى الامام مسلم (أن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت : جاءتنى امرأة ومعها ابنتان لها فسألتنى فلم تجد عندى شيئاً غير تمرة واحدة فأعطيتها إياها فأخذتها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها شيئاً ثم قامت فخرجت وابنتاها فدخل على النبى صلى الله عليه وسلم فحدثته حديثها فقال النبي صلى الله عليه وسلم من ابتلى من البنات فأحسن إليهن كن له ستراً من النار) [١].

ولقد حث الإسلام على السعى على الجارية والإحسان إليها فمن فعل ذلك يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن أنس بن مالك قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه [٢].

وخرج أبو نعيم الحافظ من حديث الأعمش (عن أبى وائل عن عبد الله قال قال رسول صلى الله عليه وسلم «من كانت له بنت فأدبها فأحسن أدبها وعلمها فأحسن تعليمها وأسبغ عليها من نعم الله التى أسبغ عليه كانت له ستراً وحجاباً من النار)[٣].

مظاهر احترام المراة فى الاسلام

السلام دين الاعتدال فى كل أمر من أموره فالزوجة لها دلالها[٤] مع بعلها

١- صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٦ ص ١٧٩ .

٢- المرجع السابق ص ١٨٠.

٣- تفسير القرطبى لسورة النحل جـ ١٠ ص ١١٨.

٤- دلال المرأة : تدللها على زوجها وذلك أن تريه جراءة عليه فى تغنج أى فى حسن ورقه كأن تخالفه وليس بها خلاف.

والإسلام لايهمل هذا الجانب فهو يجرى مع مشاعرها وعواطفها وأحاسيسها وتكوينها فالإسلام يدعو إلى معرفة رضاها دون أن تكون متسلطة مسيطرة. وهذه صورة منهجية يدعو الإسلام إلى محاكاتها وتطبيقها بين الأزواج والزوجات فيكون الزوج كالنسمات فى ليالى الصيف الحارة وتكون الزوجة كالبساتين الجميلة والرياض الناضرة. ولاغنى لواحد منهما عن الآخر فحديقة تلفحها الشمس لايطيق الإنسان الجلوس فى حرها. ونسمة فى بيداء مقفرة لا وجودلها فالمرأة لها حق فى نسمة زوجها وهاهى الصور المنهجية الإسلامية الوضيئة :-.

أولا : « عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى لأعلم إذا كنت عنى راضية وإذا كنت على غضبى. قالت : فقلت من أين تعرف ذلك ؟

فقال : أما إذا كنت عنى راضية فإنك تقولين : لاورب محمد. وإذا كنت عنى غضبى قلت لاورب إبراهيم. قالت أجل والله يارسول الله ماأهجر إلا اسمك) (١) فلقد شرع الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المنهج ليستقرئ الرجل حال زوجته من فعلها وقولها فيما يتعلق بالميل إليه وعدمه والحكم بما تقتضيه القرائن فى ذلك لأنه صلى الله عليه وسلم جزم برضى زوجته السيدة عائشة رضى الله عنها بمجرد ذكرها اسمه « لاورب محمد » وجزم بغضبها بمجرد الإعراض عن اسمه وإبداله بإبراهيم عليه السلام. وردت السيدة عائشة على إبدالها اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بإبراهيم فى حال الغضب « والله ماأهجر إلا أسمك » فحلفها بالله تأكيد للحصر « ماأهجر إلا اسمك » أى فى حال الغضب الذى يسلب العاقل اختياره لاتتغير السيدة عائشة عن المحبة المستقرة فى القلب بل الهجرة فى الاسم دون الفعل ودليل الهجرة فى الأسم فقط أنها على اتصال بأصله فى ذكرها لإبراهيم فإبراهيم أبوه وهو أولى الناس به فلما لم يكن لها مناص من هجر اسم الرسول صلى الله عليه وسلم أبدلته بمن

هو منه بسبيل حتى لاتخرج عن اطار التعلق به صلى عليه وسلم وفى هذا دعوة للمسلمين والمسلمات بأن أحوال الغضب فى الأسرة لاتخرج أحدهما عن دائرة الود والتعلق فأن خرجت عصفت بها العواصف الهوج ودمرتها.

ثانياً : (عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : كنت ألعب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يأتيى صوا حبي قالت : فكن ينقمعن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : أنس : ينقمعن : يفررن. قالت : فكان النبى صلى الله عليه وسلم : يُسَرِّبُهُن إلَّى فيلعبن معى) [١].

فلعبها فى بيتها دون خروجها إلى النادى أو، مكان آخر من حقها فعبء الحياة عليها ثقيل. بهذا المنهج يقطع الإسلام رتابة حياتها فلودارت حياتها على وتيرة واحدة لأصابها الملل واعترتها السآمة.

ثالثاً : (عن عائشة رضى الله عنها قالت : والله لقد رأيت رسول الله صلى عليه وسلم يقوم على باب حجرتى. والحبشة يلعبون بالحراب فى المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسترنى بردائه لأنظر إلى لعبهم بين أذنه وعاتقه ثم يقوم من أجلى حتى أكون أنا التى أنصرف فا قدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو.)[٢].

فللبنت حقها فى رؤية بعض الألعاب وفى إطار شرع الله فلا تنظر إلى محرم ولاترى مايثير ساكنها أو يفسد أخلاقها.

رابعا : للمرأة حقها فى الجلوس مع أترابها ومع قريناتها وتتحدث معهن شريطة أن لا يغتبن أحداً وأن يبتعدن عن النميمة وأن يلتزمن بسلوك الأسلام فيجلس لحل

١- متفق عليه

٢- متفق عليه.